شرح الأربعين نووية

الحديث الثالث والعشرون .

[عن أبي مالك الحارث بن الأشعري Bه قال : قال رسول ا صلى ا عليه وآله وسلم الطهور شطر الإيمان والحمد تملأ الميزان وسبحان ا والحمد تملآن - أو تملأ - ما بين السماء والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو : فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها] رواه مسلم .

هذا الحديث أصل من أصول الإسلام وقد اشتمل على مهمات من قواعد الإسلام والدين أما الطهور فالمراد به هنا الفعل - وهو بضم الطاء - على المختار .

واختلف في معناه : فقيل : إن الأجر فيه ينتهى إلى نصف أجر الايمان وقيل : المراد بالإيمان هنا الصلاة قال تعالى { وما كان ا ليضيع إيمانكم } والطهارة شرط في صحة الصلاة فصارت كالشطر ولا يلزم في الشطر أن يكون نصفا حقيقيا وقيل غير ذلك وأما قوله [والحمد تملأ الميزان] فمعناه : أنها لعظم أجرها تملأ ميزان الحامد تعالى وقد تظاهرت نصوص القرآن والسنة على وزن الأعمال وثقل الموازين وخفتها وكذلك قوله [وسبحان ا والحمد تملآن - ما بين السماء والأرض] وسبب عظم فضلها ما اشتملت عليه من التنزيه تعالى والإفتقار إليه وقوله [تملآن أو تملأ] ضبطه بعضهم بالتاء المثناة فوق وهو صحيح فالأول ضمير مثنى والثاني ضمير هذه الجملة من الكلام .

وقال بعضهم : يجوز [يملآن] بالتذكير والتأنيث أما التأنيث فعلى ما تقدم وأما التذكير فعلى إرادة النوعين من الكلام وأما [تملأ] فيذكر على إرادة الذكر وأما قوله A : [والصلاة نور] فمعناه أنها تمنع من المعاصي وتنهي عن الفحشاء والمنكر وتهدي إلى الصواب كما أن النور يستضاء به وقيل : معناه أن يكون آخرها نورا لصاحبها يوم القيامة وقيل : إنها تكون نورا ظاهرا على وجهه يوم القيامة ويكون في الدنيا أيضا على وجهه البهاء بخلاف من لم يصل وا أعلم .

وأما قوله A : [الصدقة برهان] فقال صاحب التجريد : معناه أنه يفزع إليها كما يفزع للبراهين كأن العبد إذا سئل يوم القيامة عن مصرف ماله كانت له صدقاته براهين في جواب هذا السؤال فيقول : تصدقت به وقال غيره : معناه أن الصدقة حجة على إيمان فاعلها لأن المنافق يمتنع منها لكونه لا يعتقدها فمن تصدق استدل بصدقته على قوة إيمانه وا أعلم .

وأما قوله A [والصبر ضياء] فمعناه : الصبر المحبوب في الشرع وهو الصبر على طاعة ا تعالى والصبر على معصيته والصبر أيضا على النائبات وأنواع المكاره في الدنيا

والمراد أن الصبر محمود لا يزال صاحبه مستضيئا به مهتديا مستمرا على الصواب .

قال إبراهيم الخواص : الصبر هو الثبات على الكتاب والسنة وقيل : الصبر هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب وقال أبو علي الدقاق C : الصبر : أن لا يعترض على المقدور فأما إظهار البلاء على وجه الشكوى فلا ينافي الصبر قال ا تعالى في حق أيوب عليه السلام : { إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب } مع أنه قال : { أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين } وا أعلم .

وأما قوله A [والقرآن حجة لك أو عليك] فمعناه ظاهر أي تنتفع به إن تلوته وعملت به وإلا فهو حجة عليك وقوله [كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها] معناه : أن كل إنسان يسعى لنفسه فمنهم من يبيعها بطاعته له فيعتقها من العذاب كما قال ا تعالى { إن ا اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة } ومن يبيعها للشيطان والهوى باتباعها فيوبقها أي يهلكها اللهم وفقنا للعمل بطاعتك وجنبنا أن نوبق أنفسنا بمخالفتك